**شعر الصعاليك:**

 لا بد من الوقوف عند ظاهرة شعرية جاهلية متميزة أصيلة واضحة المعالم هي الصعلكة. فما عوامل ظهورها وما صفات الصعاليك وما شعر الصعلكة وغاياته وخصائصه؟ وما الجديد الذي تحقق شعريا على أيدي الصعاليك؟

 الصعلوك الفقير الذي لا مال له، و"صعلكه أضمره وأدقهّ[[1]](#footnote-2) ، لكن نُسب التشرد وقطع الطريق للفقير فصارت الصعلكة تعني قطع الطريق، كما كان ارتباط الشعر بمجموعة من الشعراء الذين أبعدوا عن قبائلهم فراحوا يغيرون على قوافل الأغنياء ثم يقسمون ما يحصلون فاتصفوا في الفكر الحديث بالثورية لرفضهم واقعا اجتماعيا قبليا ساده كثير من الظلم . لكن صفة الأنفة والعزة وما إليها من الإباء والكرم والشجاعة، كل هذه الصفات تجسد مدى وفائهم لتلك القبائل التي وهبتهم ملكة الثورة عليها وبذلك فهم منتمون منشقون في الوقت نفسه[[2]](#footnote-3).

 والصعاليك نماذج متباينة منهم الخامل الحقير الذي رضي التسول والهوان ولم يمض في عالم المغامرة، ومنهم النشط المنشق عن أعراف القبيلة مختارا الفتك والغصب وسيلة لاسترداد حقه المادي والمعنوي.

 فالصعلوك في اللغة هو الفقير الذي لا يملك من المال ما يعينه على أعباء الحياة، ولم تقف هذه اللفظة في الجاهلية عند دلالتها اللغوية الخالصة، فقد أخذت تدل على من يتجردون للغارات وقطع الطرق، ويمكن أن نميز فيهم ثلاثة مجموعات:

1- مجموعة من الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم مثل: حاجز الأزدي، وقيس بن الحدادية، وأبي الطحان القيني.

2- مجموعة من أبناء الحبشيات السود، ممن نبذهم أباؤهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم مثل: السليك بن السلكة، وتأبط شراً، والشنفرى، وكانوا يشركون أمهاتهم في سوادهم، فسموهم وأضرابهم باسم أغربة العرب.

3- ومجموعة ثالثة لم تكن من الخلعاء، ولا من أبناء الإماء الحبشيات، غير أنها احترفت الصعلكة احترافا، قد تكون أفرادا مثر عروة بن الورد العبسي، وقد تكون قبيلة برمتها مثل قبيلتي هذيل وفهم، اللتين كانتا تنزلان بالقرب من مكة والطائف.

 ويرى الدكتور يوسف خليف أن الصعلكة قد يخرج مفهومها أحيانا عن أصل معناها اللغوي، فهذا عمرو بن براقة الهمداني يغير على إبله وخيله رجل من مراد فيذهب بها، فيأتي عمرو إلى إحدى كاهنات العرب يستشيرها، ثم يغير على المرادي فيستاق كل شيء له، ويقول:

**تقول سليمى: لا تعرض لتلفة وليلك عن ليل الصعاليك نائم**

**وكيف ينام من جل مالــــــــــــــه حسام كلون الملح أبيض صارم**

**ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم قــــــــليل إذا نام الخلي المسالم**

 إن جو القصة وسياق الأبيات لا يدلان هنا على أن الصعاليك هم الفقراء المعدمون الذين لا يملكون ما يسدون به رمقهم، وإنما هم أولئك المشاغبون المغيرون الذين يقضون لياليهم في السلب والنهب والإغارة، فمصطلح الصعلكة قد خرج من دائرة الفقر إلى جائرة الغزو والإغارة للسلب والنهب.

 كان الصعاليك في الجاهلية يعانون مرارة الجوع والحرمان، فمن يرجع إلى أحاديث الصعاليك في الجاهلية يجدها حافلة بالحديث عن فقرهم، فكل الصعاليك فقراء حتى عروة بن الورد سيد الصعاليك الذي كانوا يلجأون إليه كلما قست عليهم الحياة، كان صعلوكا فقيرا حسب ما يذكره الرواة، فتكر في أشعاره أحاديث الفقر وما يعانيه من جهد ومشقة، وما يشعر به من ثقل التبعة التي يتحملها إزاء أهله، وإزاء أصحابه الصعاليك:

**ذرينــــــــــي للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير**

**فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا**

**ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح**

**عوامل ظهور الصعلكة في العصر الجاهلي:**

 اجتمعت في الحياة الجاهلية عوامل عديدة كانت سببا في ظهور ظاهرة الصعكلة أبرزها:

**-1طبيعة الأرض**:

 شبه الجزيرة العربية هيأت لانتشار هذه الظاهرة لما تميزت به من ارتفاع في الحر وشح في المطر وندرة في الخيرات بمناطق ووفرة في الخيرات والمياه في أخرى مما دفع بعض الفقراء إلى الإغارة.

**-2طبيعة المجتمع:**

 كان المجتمع القبلي كثيرا ما يعاقب الأفراد عن حق أو غير حق بالنفي والخلع والطرد أو الاحتقار بسبب اللون أو اضطراب النسب. قال عروة بن الورد:

**هم عيروني أن أمي غريبة وهل في كريم ماجد ما يعير[[3]](#footnote-4)؟**

 ولم ينج حسان بن ثابت أيام الجاهلية من مثل هذا الهجاء الذي رماه به أمية بن خلف

الخزاعي ذاكرا يمانيته واشتغال أبيه في الحدادة:

**ألا من مبلغ حسان عنّي مغَلْغلَةٌ تدب إلى عكاظ**

**أليس أبوك قينا كان فينا لدى الْقَينَات فَسلا في الْحفَاظ**

**يماَنياً يظلُّ يشد كيرا وينْضَح دائِباً لهب الشّواظ[[4]](#footnote-5)**

 **و**هو في موقفه هذا يختلف عن عنترة القائل :

**إني امرؤ من خير عبس منصبا شطري وأحمي سائري بالمنصل**

 فعنترة يقر بما تراه القبيلة من نقص في أمه حين يقول " شطري " أي نصفي ويقصد به شرف الأب، ويعوض النصف الآخر بشجاعته .أما عروة فلا يقر بذلك بل ينفي كل ما يعير به فهو كريم ماجد وصفاته الفردية تحقق كل ما يجب له من التوقير الكامل.

 وقد كان أمام المطرود والمحتقر طريقان لا ثالث لهما: إما الولاء والاحتماء بقوم وإما السعي في شعاب الصحراء، والعربي بطبيعة عزة نفسه لا يرضى بالولاء لما فيه من إذلال.

**-3الطبقية**:

 انقسام المجتمع القبلي إلى سادة أغنياء وفقراء وعبيد حرض المتضررين على نبذ المجتمع واختيار التمرد على الأعراف والقيم البالية فكان الصعاليك يمارسون نوعا من الانتقام ضد الظلم الذي أصابهم فكانوا يتخيرون الأماكن التي يقيم بها الناس والطرق التي تسلكها قوافل التجار فينقضون عليها ثم يرتدون بما غنموا إلى الشعاب الوعرة والقمم المنيعة**.**

**صفات الصعاليك:**

 عرف الصعاليك بصفات اكتسبوها في الغالب من طبيعة حياتهم وما تميزت به من مصاعب، كروح المغامرة والذكاء والشجاعة وقوة الفتك والروح الجماعية والإيثار وشدة كره قبائلهم وأعرافها والصبر واعتمادهم على أنفسهم وقوة نشاطهم وكل صفات الفارس النبيل.

 كان الشعراء الصعاليك المتمردون، يجاهرون بعدائهم للقبائل، فقد أظهروا يأسهم من تلك الحياة القبلية، وما تميزت به من عادات رتيبة ومملة فأعلنوا نفورهم منها ورفضهم لها، والثورة على القيم الاجتماعية، وعدم انسجامهم مع القبيلة، وخلق نظام جديد بعيد عن النظام القبلي. إلا أنه ظهر عجزهم في إظهار الانتماء الجديد من خلال فقدان الأمن والطمأنينة، فالصعلوك يعيش اللاأمن وللااستقرار، فهو دائم الخوف والهروب، فيلجأون إلى الجبال المترامية الأطراف.

 ولعل أبرز صفة لديهم هي ذلك التناقض في أخلاقهم فمنهم الفاتك بغير رحمة ومنهم من يقطر قلبه إنسانية ويقنع بالماء إيثارا لغيره، كما قال عروة ابن الورد مخاطبا الثري السمين:

**وإني امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي إنائك واحد**

**أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى بجسمي شحوب الحق والحق جاهد**

**أقسم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد[[5]](#footnote-6)**

 ففي هذا القول إعلان عن قيم جديدة تقوم على التضامن والمساواة والإيثار بدل الظلم الاحتقار والأثرة.

 ويقول آخر واصفا مدى استئناس الصعاليك بوفادته إلى درجة جعلت كلابهم تعرف كل شيء فيه حتى الثياب مما يوحي بمحافظة هذه الجماعة على كم من القيم العربية النبيلة ومنها الكرم :

**وقد عرفت كلابهم ثيابي كأني منهم ونسيت أهلي**

 وبذلك تسمو القيمة الإنسانية لديهم فتقوم الصلة بالكلب لتختفي المعاني السلبية التي التصقت بذكره، والصلة المعقودة بالكلب هي في جوهرها تعويض واضح للصلة الفاشلة التي حالت دون قيامها المظالم ثم الشعور بهذه المظالم وهذا الشعور المصحوب برد الفعل المضاد هما الأهم في حياة الصعاليك.

 ولم يقف الأمر في الاستئناس عند هذا الحد المعقول لكون الكلاب أليفة لكن الصعلوك يعقد صلة وثيقة بالحيوان المفترس:

**يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه ويصبح لا يحمي لها الدهر مربعا[[6]](#footnote-7)**

 وفي ذلك الاستئناس بالوحش إدانة واضحة للقبائل التي هجروها، لأنها بهذا الاستئناس المعلن تضمر احتقارا وترميهم بالوحشية.

**موضوعات شعر الصعلكة:**

**1-حكايات المغامرة والمفاخرة:**

مادامت حياة الصعاليك قد اتخذت شعارها "الغزو والإغارة للسلب والنهب" فليس غريبا أن أكبر ما يعنى به شعراؤهم أحاديث مغامراتهم، لأن هذه المغامرات هي الحرفة التي قامت عليها حياتهم.

 في شعر الصعاليك موضوعات لم تكن مألوفة في كثير من شعر الجاهليين منها حكايات المغامرة التي وصلت حدا من الخيال جعل تأبط شرا يصور مغالبته للغول قائلا:

**ألا من مبلغ فتيان "فهم " بما لقيت عند رحى بطان**

**بأني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان**

**فقلت لها كلانا نضو أين أخو سفر فخلي لي مكاني**

**فشدت شدة نحوي فأهوي لها كفي بمصقول يماني**

**فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران**

 ويقول عارضا فروسيته وشجاعته:

**وأدهم قد جبت جلبابه كما اجتابت الكاعب الخيلا**

**آلى أن حدا الصبح أثناءه ومزق جلبابه الأليلا**

**على شيم نار تنورتها فبت لها مدبرا مقبلا**

**فأصبحت والغول لي جارة فيا جارتا أنت ما أهولا**

**وطابتها بضعها فالتوت بوجه تهول فاستغولا**

**فقلت لها يا انظري كي ترى فولت فكنت لها أغولا... 1**

 وهو يجسد صراحة قلب الأعراف الجاهلية حتى في أسلوبه إذ أنه يدعو قومه في الشطر إلى تجهيز أرحلهم ليعلن في الشطر الثاني أنه سيهجرهم إلى قوم آخرين .وفي قصيدة أخرى له يقول عن غارة قام بها الصعاليك:

**خرجنا ولم نعهد وقلت وصاتنا ثمانية ما بعدها متعتب**

**سراحين فتيان كأن وجوههم مصابيح أو لون من الماء مذهب**

**-2 العلاقات الأخوية:**

 اهتم الشعراء الصعاليك بتصوير مشاعرهم فعبروا عن وفائهم لصحبهم بعد أن شكلوا مع بعض أسرة أغنتهم عن قبائلهم وأهليهم. وهم معتزون بانتمائهم الجديد الذي شكلوا وعيه واختاروه كما يظهر ذلك في مفاخرهم ورثائهم. يقول تأبط شرا في مصرع أحد أصحابه وقد زهد في كل غنيمة لشدة الحسرة:

**أبعد قتيل العوص آسى على فتى وصاحبه أو يأمل الزاد طارق؟**

**3-الفرار:**

 وإذا كان الفرار من الصفات الممقوتة في عرف العرب فإنه مفخرة في عرف جديد عاش عليه الصعاليك .لأن مغامراتهم كانت تحتم عليهم الفرار ولأنهم كانوا يريدون قلب الأعراف التي وجدوا عليها قومهم .يقول تأبط شرا:

**لا شيء أسرع مني ليس ذا عذر وذا جناح بجنب الريد خفاق**

**حتى نجوت ولما ينزعوا سلبي بواله من قبيض الشد غيداق**

 ولعل حاجز الأزدي أكثر الصعاليك مباهاة بالفرار لقوله:

**ألا هل أتى ذات الخواتم فرَّتي عشية بين الجرف والبحر من بعر**

**عشية كادت عامر يقتلونني لدى طرف السلماء راغية البكر**

**-4 وصف الخيل والسلاح والمراقب:**

 كما تحدث الشعراء الصعاليك عن مغامراتهم تحدثوا أيضا عن تربصهم بأعدائهم، وترصدهم لضحاياهم، وارتقابهم الفرصة الملائمة لمهاجمتهم فوق المرتفعات العالية التي يشرفون منها على الطريق، بحيث يرون الناس ولا يرونهم، والتي كانوا يسمونها (المراقب).

 كما تحدثوا عن أسلحتهم، والتي يعتبرونها القوة الثالثة التي يعتمدون عليها في مغامراتهم، إلى جانب قوة قلوبهم، وقوة أرجلهم، وهذه القوى يجمعها تأبط شرا في رثائه للشنفرى حيث يقول:

**فلا يبعدَنَّ الشنفرَى وسلاحه ألـــــــ ـــــحديدُ وشدُّ خطوُه متواترُ**

لوصف الخيل مكان في شعر الصعاليك رغم اعتمادهم المشي والجري في إغاراتهم وفرارهم كثيرا. يقول تأبط شرا راثيا الشنفرى:

**يفرج عنه غمة الروع عزمه وصفراء مرنان وأبيض باتر**

**وأشقر غيداق الجراء كأنه عقاب تدلى بين نيقين كاسر**

**-5 فردية المفاخر:**

 إذا كانت سمة "الجماعية" هي الغالبة في شعر غير الصعاليك، فإن مفاخر الصعاليك تتميز بفرديتها، مما جعل الضمير" أنا " يحضر بكم مكثف في أشعارهم . لكن هذه الفردية نفسها تحمل سمة الجماعة جماعة الصعاليك لاشتراكهم في الصفات التي يفخر بها كل شاعر، وإن كان ذلك لا يعدم المفخرة الشخصية**،** يقول الشنفرى في مستهل لاميته:

**أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم إليكم لأميل**

 هو استهلال فيه قلب للغة، ذلك أنه يطلب من قومه إعداد مطاياهم ثم يخبرهم بأنّه راحل عنهم. وهو إذ يبعثر المعطيات ويقلب المفاهيم يمهد لقلب مجموعة من القيم الأخرى، ذلك أنه يتدرج في التنديد بالقبيلة بدءا من توكيد إنسانية الحيوان الأليف وانتهاء بالحيوان المتوحش، كاسرا المقولة التي ترى وحدة الجنس أساسا للتآلف. 1

 ومن الواضح أن الشاعر قد أعلن عن رفضه للقبيلة وقيمها ولاإنسانيتها حين وصف الذئب والنمر والضبع وصفا إنسانيا ليوحي بلاإنسانية "أهليه":

**هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم، ولا الجاني بما جر يخذل**

**وكلّ أبي باسلٌ غير أنّني إذا عرضت أولى الطرائد أبسل**

 وهذا التنديد من الشاعر واضح بدءا من رفضه في البيت الأول للتقليد الفني الجاهلي المتمثل في كسر عمود الطلل وهجر التصريع.

 وتؤيد رؤيته الفنية التي يعلن عنها في بيته الأول إعلانه عن هجر أرض الظلم، وكما أن في الإبداع سعة تنأى به عن التقليد فإن في الأرض سعة تنأى به عن ظالميه:

**وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل**

**لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل**

 فالشاعر يشترط الرؤية في هذا الهجر "وهو يعقل" كما اشترط "الرهبة" وهي هنا ليست خوف المواجهة بل خوف البقاء في حياة الذل، وهنا يمكن أن يكون "الخوف من الذل" هو الشجاعة التي تدفع الصعلوك إلى اختيار باب المواجهة المباشرة، وهو مما يعزز البعد الإنساني لهذا الانسلاخ عن القبيلة. ذلك البعد الذي يتجلى في مجموعة من القيم تعلن عنها القصيدة في نص أشبه ما يكون بنشيد أو بيان أو ميثاق عام.

**-6محاورة الحبيبة:**

 لم يول الصعاليك أهمية للطلل في شعرهم فهم يدخلون الغرض دخولا مباشرا، وهذا طبيعي إذ أن الحنين إلى المكان هو سبب البكاء على الطلل و من المعروف أن الصعاليك نفروا من " أهليهم " وقبائلهم و"مواطنهم " وتولد في أنفسهم عداء شديد للأهل والأوطان، فكان من المنطقي أن ينبذوا البنية الفنية التي هي جزء من البنية الاجتماعية التي نبذتهم واحتقرتهم، وكان من أسس تلك البنية الفنية أسس القصيدة الجاهلية ذات المرجع القبلي .

 ويعد ترك المقدمة الطللية أحد الأركان التي هدمها الصعاليك، ويعد ذلك الهدم عملا تأسيسيا مباشرا لقصيدة جديدة قابلة لأن تنتج فكرا جديدا مختلفا عن فكر القبيلة وعصبيتها ونظمها القائمة على التمييز والاستغلال.

 وقد تميزت المطالع والافتتاحيات عند الصعاليك بذلك الحوار بين الشاعر والحبيبة أو الزوجة التي تحاول استبقاء الزوج قريبا منها خوفا عليه من خطر السفر والمغامرة لكن الصعلوك يصر على المضي محاربا إصرارا فيه قسوة على نفسه وعلى أحب الناس إليه، التزاما من شاعر أحس بالواجب، ومن هنا تظهر سمة " شعر القضية " التي عايشها الصعلوك ومارسها وصورها في شعره. يقول تأبط شرا :

**ستقول سليمى لجاراتها أرى ثابتا يفنًا حوقلا**

**لها الويل ما وجدتْ ثابتا ألف اليدين ولا زملا[[7]](#footnote-8)**

 فهو يبلغ زوجته بأن عزمه على السفر واستعداده له إنما هو نابع من شجاعته ومقاومته ضد الوضع المهين الذي كان يحياه.

**7- التوعد والتهديد:**

 كما تحدث الشعراء الصعاليك عن التربص والترصد، تحدثوا عن التوعد والتهديد، وأكثر من يتوعدهم الشنفرى بنو سلامان، والذين كانوا السبب المباشر لتصعلكه،والذي عاهد نفسه بأن يقتل مئة منهم بما اعتبدوه، وهو يتوعدهم في شعره توعدا عنيفا، وكل ما يتمناه أن يمد الله في عمره حتى يشفي غليله منهم، حين يلاقيهم في عقر دارهم.[[8]](#footnote-9)

**أبرز السمات الفنية في شعر الصعلكة:**

**-1شعر مقطوعات:**

 إن الدارس لشعر الصعاليك جد أنه شعر مقطوعات، هذا لا يعني انعدام القصيدة فيه، وإنما ضيوع المقطوعة أكثر من القصيدة. فقصائد الصعاليك تتميز فحياتهم كانت كلها مشقة وعناء ما حال دون تفرغهم للشعر، كما تفرغ له شعراء المعلقات كزهير الذي كان يعيد النظر في قصيدته حولا كاملا، وامرؤ القيس في حياته اللاهية الفارغة التي ضمن لها رغدها ملك أبيه، والنابغة في حياته المستقرة في بلاط المناذرة والغساسنة، فهي في أغلبها تمتاز بالقصر باستثناء ما عرف عند الشنفرى وتأبط شرا، فكانت مقطوعات أو أبياتا منفردة تصف حالة عابرة. بسبب حياة التشتت والتشرد والتقلب.

 أما تلك القصائد الطويلة القليلة لبعض شعرائهم فهي أصداء لفترات قليلة كانت تمر بحياة الشعراء الصعاليك، يستريحون فيها من الكفاح في سبيل العيش، فيتفرغون لأنفسهم وفنهم ينشئون فناً مطولا مجودا رائعا ممتازا.

**-2 الوحدة الموضوعية:**

 إن الدارس لشعر الصعاليك يجد أن الوحدة الموضوعية متجلية في مقطوعاته وأكثر قصائده، وهي ظاهرة لم تعرفها قصائد العصر الجاهلي، التي كانت تبدأ بمقدمة الطللية ثم تنتقل من موضوع إلى آخر.

 وقد ساعد النفس القصير على تحقيق التركيز ووحدة الغرض وهما من سمات الشعر القوية مما جعل القصائد الصعلكية تتخصص في وصف مغامرات الصعاليك وأحزانهم ومفاخرهم.

-3 **السرد الحكائي (القصصية)**:

 احتوى شعر الصعاليك خصائص حكائية متصلة بسرد مغامراتهم وفتكهم والفرار إلى محاورة قبل السفر ووصف للإغارة والسلاح لكن كل ذلك لا يدل على أن الصعاليك كتبوا قصصا شعرية بل يؤكد أنهم قدموا للقصة الشعرية طائفة هامة من عناصرها بسيطة مؤهلة للتطور[[9]](#footnote-10)، وقد كان ذلك طبيعيا لأن حالة اللاستقرار هي التي أنتجت هذا الشعر.

**4- الارتجال والطبع:**

 ويتميز شعر الصعاليك بكونه وليد الطبع والسرعة كما كانت غايته محاورة الذات لا الآخرين مما يعني غياب الخطابية والمتلقي، كما كان شعرهم وليد الانفعال السريع فكان ذلك سببا في إنشاء شعر لا أهمية فيه لإطالة النظر والإتقان والتجويد فغدا الشاعر معبرا عن قضية وفكرة مما تسبب في وجود شيء من الغريب كلفظة "هيد" في قول تأبط شرا:

**"يا هيد" مالك من شوق وإبراق ومر طيف على الأهوال طراق**

 ومن هنا يمكن القول إن اغتراب الصعاليك عن القبيلة جعلت حتى اللغة عندهم تمارس هذا الاغتراب وهم بعد ذلك أفضل من يمثل شعر البداوة البعيد عن كل علاقة بالحضر ولغتهم.

**4- التخلص من المقدمة الطللية:**

 اتخذ الشعراء الصعاليك مذهبا آخر، استعاضوا به عن المقدمة الطللية، فجعلوا محور مذهبهم المرأة المحبة الحريصة على حياة فارسها، التي تكون حريصة على حياته، إن لم يكن من أجل نفسه فمن أجلها هي. فهو يضحي بحياته وبسعادته من أجل مبادئ وأفكار آمن بها.

**5- عدم الحرص على التصريع:**

 إن هذه السمة غالبة على شعر الصعاليك شواء منه ما كان داخل دائرة الصعلكة أو خارجها، وسواء ما كان مقطوعات أو قصائد، وسواء كان خاضعا للوحدة الموضوعية أو خارجا عنها، إلا القليل النادر من المقطوعات أو القصائد التي يكون التصريع في مطالعها.

**6- التحلل من الشخصية القبلية:**

 لقد فقد الشعراء الصعاليك التوافق الاجتماعي مع قبائلهم، مما ترتب عليه فقد الإحساس بالعصبية القبلية في نفوسهم. فمن الطبيعي ألا تظهر شخصية القبيلة عند شاعر فقد إحساسه بالعصبية القبلية، لأنه يؤمن بعصبية واحدة ومذهب واحد هو التصعلك. والشاعر الصعلوك كان يعتد بشخصيته، كما يعتد بشخصيتة الجماعية رفقة أصدقاءه الصعاليك، فالفرد الصعلوك له القدرة أن يقف في وجه مجتمع بأكمله.

**-7 الواقعية:**

 ويتميز شعر الصعاليك بتردده بين الواقع والمثال ذلك أن ترك القبيلة دفع إلى البحث عن عالم جديد وقيم مختلفة مضادة لكثير من قيم القبيلة التي ظلمتهم فصاروا يعيشون حياة جماعية ابتكروها معتمدين الإغارة والمغامرة ويختارون قمم الجبال ومغاراتها وكهوفها الخطرة مسكنا ويصاحبون الوحش ويفخرون بالفرار والخوف استجابة لحب البقاء غريزتهم الإنسانية، وقلبا للمفاهيم القبلية التي تمردوا عليها. وتتمة لهذا الاختيار الاجتماعي المغاير أوجدوا صوتا شعريا مغايرا يجسد هذا البحث المضني عن عالم متكامل اجتماعي ثقافي فني فهجر الطلل شعرهم واعتمدوا لغة شبه مباشرة أفرزها الطبع والمعيش، وصاروا يكتفون ببعض المقطعات لتصوير حالهم بصدق، مخالفين في ذلك كثيرا مما قالته العرب، وكادت تجمع عليه، بل قد يخرجون حتى على مقاييس في اللغة والفن، تلك المقاييس التي كرستها القبيلة ضمن إطارها الاجتماعي الثقافي العام، وهذا طبيعي عند جماعة ثارت على كل شيء وأنشأت صورة جديدة للحياة والشعر تتأرجح بين الواقعية والمثالية، وإن كانت تنهل من الحياة ليصب شعرها في الحياة مرة أخرى.

1. - ابن منظور، لسان العرب، ص 2451،2452. [↑](#footnote-ref-2)
2. - إنعام الجندي ٬ دراسات في الأدب العربي، ط2 ٬ ص12. [↑](#footnote-ref-3)
3. -بوجمعة بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، ص77. [↑](#footnote-ref-4)
4. - علي الشعيبي، الإيجابية والسلبية في الشعر العربي بين الجاهلية والإسلام، ص89، 90. [↑](#footnote-ref-5)
5. - أبو تمام، الحماسة٬ برواية منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي 540 .ه ٬ دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص340. [↑](#footnote-ref-6)
6. - جابر عصفور، غواية التراث، كتاب الهلال، ص102. [↑](#footnote-ref-7)
7. - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 197، 198. [↑](#footnote-ref-8)
8. -يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، ص189. [↑](#footnote-ref-9)
9. - بوجمعة بوبعيو ٬ جدلية القيم في الشعر الجاهلي، ص84. [↑](#footnote-ref-10)